

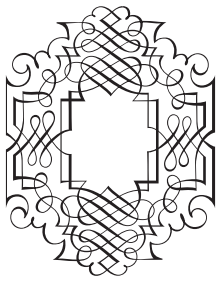
أمشاج فلسفة وحياة

سالم العيادي

الطبعة الأولى

2023







تصدير

يحتوي هذا الكتاب على مجموعة من المقالات مختلفة في موضوعاتها وإشكاليّاتها، ومتباينة السّياقات والأغراض، وتتراوح درجات العمق النّظريّ فيها بين ما هو موجّه لنخبةٍ مختصّة وبين ما هو متاح لعموم القراء بصرف النّظر عن تخصّصاتهم.

وسواءً تعلّق الأمر بالتواصل والصّداقة، أو بالمشترك، أو بالمدينة، وسواءً تعلّق أيضًا بفكرة التّعقُّليّة عند الفيلسوف التونسيّ فتحي التريكي، أو بقضايا سياسيّة في فلسفة المعلّم الثاني الفارابي، أو تعلّق أخيرًا بوضعيّة الشعب والدّولة في سياقنا السياسيّ التاريخي بتونس، وبصداقةٍ اختبرناها في ما وراء ما هو سياسيّ جمعنا بالمرحوم محمّد نجيب عبد المولى - المتفكّد العامّ للتربية - حول محنة المفهوم ومحنة العموم، فإنّ هذه المقالات لا تعدو أن تكون محاولة في بسط النّقاش الرّصين حول حياة الفكر داخل المدينة وفكرة الحياة المدنيّة: فحياة الفكر داخل المدينة تقتضي دائمًا تعميق النّظر في فكرة الحياة المدنيّة لا بوصفها فكرة سياسيّة وحسب، وإنّما بوصفها أيضًا مدار الوضع البشريّ في كليّته ومدار المصير من حيث هو سيرورة غائيّة جماعيّة مشتركة.

هذه المقالات هي إذن، قولٌ في الفكر والحياة من حيث التعالق

والتشارط والتكامل الذي يربط بينهما في رسم الملامح الأساسية لحضور ممكن للعقل داخل المدينة تشخيصاً ونقداً وتنبهاً على الأفق المفتوح لحياة سعيدة أو لحياة «غير شقيّة» على الأقل، هذا من ناحية أولى. وهي من ناحية أخرى، بيانات لأجل الدفاع عن المدينة، أي عن ضرورة استحضار المدينة في اهتمامات العقل والفكر حتى لا يظلّ المفكر متعالياً عن الواقع منقطعاً عنه.

أضع بين يدي القارئ هذه المقالات في الفلسفة والحياة، وأرجو أن يجد فيها صدئ لأسئلته وانشغالاته لا بوصفه مهتمّاً بالفكر فقط، بل بوصفه أيضاً مواطناً مهتمّاً بمواطنته ومدنيته وبشروط التواصل وفضاءات الصداقة الممكنة داخل نسقٍ للحياة يكاد يلغي معاني الإنسانية والأبعاد المختلفة للمؤانسة المبدعة فكراً وفناً وثقافةً.

فالأمْرُ المبتوثُ في هذه المدارات التّانسيّة مُمتَرَجٌ مُحتَلِطٌ: فلسفةٌ مخالطةٌ لشواغل الحياة، وحياةٌ مُمزجةٌ لاهتمامات الفلسفة وأسئلتها. فلئن كانت مقالات الكتاب متفرّقة، فإنّها متواشجةٌ تواسجُ الأمشاج. وإنّ التّلاقحَ بينها عنوانُ تكاملٍ حيويٍّ مبشّرٍ بانبعاثاتٍ جديدةٍ. فعسى أن تكون هذه الأمشاجُ مُولدةً لأفكارٍ أخرى وحيواتٍ مغايرةٍ، وقادحةً للنّظرِ الحرِّ والعملِ الإبداعيِّ الجسورِ.



المقالة الأولى

مَكْرُ التَّوَاصُلِ وَأَزْمَةُ الصَّدَاقَةِ

ليس أعسر على الإنسان من أن يستعيد علاقته الأصليَّة والتلقائيَّة بالوجود وبكينونته الخاصَّة. فنحن في العالم نسكنه سكني مباشرة حيَّة. غير أنَّ عوالمٍ أُخرى تنتصب وسيطاً مجرِّداً بيننا وبين الأشياء والآخرين وأنفسنا أيضاً. وهذا التوسيط الذَّهني والثقافي الذي يتشكَّل في أشكالٍ مختلفة من اللاوعي الجمعيِّ ومن رؤى العالم، تبنيه الرموزُ والتَّمثُّلات على اختلاف منظوماتها (اللسان/ المقدَّس/ العقائد/ الصورة...) وتنشئه ملكة التخييل على اختلاف تظاهراتها (فنيًّا/ أسطوريًّا...).

وليس الرأيُّ القائلُ بأنَّ الإنسان جوهرٌ قائم بذاته وماهيَّةٌ متعالية ومستقلَّة إلاَّ وهما يؤديُّ الاعتقادُ فيه إلى ضروب الانغلاق فكريًّا وحضاريًّا. ولا يغلُقُ الكيانُ فرديًّا وجماعيًّا إلاَّ وقد تسلَّح بأدعاءاتٍ دوغمائيَّة لا تعترف بالواقع ولا تسمح بمغامرة التعرُّف على الآخر ولا تقبل بالاستعادة الخلاقَةَ للوجود في بكارته وغرابته الأصليَّة. والحقيقة التي لا يمكن إنكارها إلاَّ على سبيل التنكُّر لها، هي أنَّ الآخر يسكننا دائماً وبعْدُ، حتَّى وإن كان على سبيل «اللأ-